

نظرنا إلى واحد من الشعراء المجهولين ، الذين يأتي اللغويون ببعض أبياتهم ، شواهد على الكلمات النادرة الموجودة فيها ، فإنى لأشك في أن الاشتغال بمثل ذلك عبث ، بالنسبة إلى بعض ما أهمله علماء الشرق ، إهمالا تاما . وأذكر مثلا كتب الإمام الشافعي ، واضع علم الشريعة ، بمنزلة علم حقيقي ، متعدّد لجميع الآثار والأحكام ، ففتح بذلك للعربية أرضا واسعة ، من وسائل التأدية ، وأغناها غنى زائدا على خدمة كثير من الشعراء لها . وليس هو بالوحيد في درجته ومن دونه بقليل ، ومع ذلك [فهو] فوق كثير من الشعراء ، فعددهم كثير .

ولنرجع إلى موضوعنا ، فنقول : إن كل ما ذكرناه حتى الآن ، هو عمل الجمع والوصف والتدوين . وأما عمل التحليل والتعليل والتأليف فلا . وآمل أن تكونوا قد رأيتم من محاضراتي ، أننا وقّفتنا إلى فهم الكثير من مصادر الأصوات والأبنية والتركيبات وتغييراتها التاريخية . وأما باب المفردات ، فنحن أبعد بكثير عن^(١) بلوغ غاية عمل التحليل والتعليل ، منا عن بلوغ غاية عمل الجمع والوصف .

وسبب ذلك ، مع سعة اللغة العربية ، وكثرة ألفاظها المانعة من الإحاطة بها ، أن وظائف التحليل والتعليل لمجموع المفردات متعددة . وإليكم بأهمها : فإذا بدأنا بالكلمة الواحدة على حدتها ، لزمنا أن نفحص عن أصلها ، واشتقاقها ، ودرجة قدمها ، أتكون أصلية ، مما تشترك فيه اللغة مع أخواتها ؟ أم مخترعة حديثة ؟ أم دخيلة ؟ فإذا كان كذلك ، فمن أي لغة هي ؟ ونفحص عن زمان اختراعها ، أو استعارتها ، ثم عن تغيرات لفظها ومعناها . وإذا كانت قد زالت عن الاستعمال ، تتبعنا في أي وقت كان ذلك ؛ فيكون لكل كلمة تاريخ وترجمة لحياتها ، ويتكون القاموس من مجموع هذه التواريخ .

ثم نؤلف بين الكلمات المفردة ، على عدد من الطرائق ، وأهمها اثنتان ؛ فنرتبها أولا على أصولها ، فنجمع بين كل ما يرتقى إلى أصول اللسان ، ثم نضم إليه طبقات

(١) في الأصل : من ه . وصححناها قياسا على ما في آخر هذه الجملة .